تـمّ تحميل هذا الملفّ من مكتبة الأديب الرّاحل رمضان لاوند | جميع الحقوق محفوظة © www.RamadanLawand.com

الأَديب و المُفكِّر الرَّاحِل

رَمَضان عَبْدِ الرَّحْمن لاَوَند

سيّد المنابر

برنامج

في رحاب القرآن –80

مقدمة البرنامج .....

مؤثرات .....

الراوي (1) : سجل تاريخ الفكر الإنساني عدداً غير قليل من التعريفات التي تناولت الإنسان ولعل التعريف الذي يحتمل القدر الأكبر من الصحة والواقعية هو الذي يقرر أن الإنسان "كائن مؤمن " ..

الراوي (2) : والواقع أن الكثرة الساحقة من البشر قد تحت دائماً عما تؤمن به .. فالإيمان غرض إنساني بالغ الأهمية يحمل إلى صاحبه الطمأنينة والرضى والثقة برعاية إلهية كريمة ..

الراوي (1) : على أن انحراف الطريق بالذين فسدت رؤية الإيمان في نفوسهم وخالطها قليل أو كثير من الشرك لا يقلل من قيمة تلك الرغبة العميقة الجادة في البحث عن الإيمان ..

الراوي (2) : الإنسان يريد هذا الإيمان لأسباب كثيرة وفي مقدمتها أن منطق الإيمان هو المنطق العقلي الذي تتجاوب الروح معه ويتفتح القلب له هذا بالإضافة إلى أن الإيمان وسيلة لانقاذ الإنسان من الإحساس بالعزلة والتوحد وبعبثية الوجود ولا معقوليته ..

الراوي (1) : فإذا تقرر في نفوسنا أن الإيمان ضرورة للإنسان فإنّ الجدير بالذكر أيضاً أن هذا الإيمان يحتاج إلى الغذاء الدائم والحوافز المستمرة من أجل أن يحتفظ بحركيته وحيويته .. إن الإيمان السكوني الذي يستمد وجوده من تأملات الصوامع والأبراج العاجية فقط هو إيمان سلبي لا يلبث أن يضمر وأن يفقد قدرته على مواجهة الحياة اليومية ..

الراوي (2) : يقول تبارك وتعالى في هذا المعنى " أَحَسِبَ النَّاسُ أَن يُتْرَكُوا أَن يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ "؟ أو ليست جملة الوقائع والأحداث التي يمتحن بها المؤمن في حياته اليومية هي الحوافز التي تشيع الحركة والحيوية في نفوسهم : " وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّىٰ نَعْلَمَ الْمُجَاهِدِينَ مِنْكُمْ وَالصَّابِرِينَ وَنَبْلُوَ أَخْبَارَكُمْ "..

الراوي (1) : نعم إن الجهاد ينبوع من ينابيع الإيمان .. والعلاقة بينه وبين الإيمان هي التي تحقق السيولة الروحية وبالتالي تحقق نمو الإيمان وازدهارها .. وكذلك الشأن في كل موقف يتعرض فيه الإيمان لنوع من التحدي السافر والامتحان العسير . والصبر على هذا الإمتحان وذلك التحدي هو بدوره مصدر من مصادر الحيوية في الإيمان ..

الراوي (2) : وتتكرر الآيات القرآنية التي تؤكد أهمية التحديات التي يمتحن بها إيمان المؤمنين وبالتالي تتأكد بها ثقة المؤمن بربه وينمو إحساسه بقرب الله منه فإذا به يشعر وكأن هذه التحديات محاولات يتم بها تشكيله النفسي والخلقي ..

الراوي (1) : هذا هو القرآن يقول في نص جامع مانع : " وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوفْ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الأَمَوَالِ وَالأنفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ(155)الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُواْ إِنَّا لِلّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعونَ(156) أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ(157) " ..

نقلة موسيقية ...

محمد : وأضيف إلى ما سمعتموه أيها الأبناء : إن أعظم من تعرض للإمتحان العسير والوقائع التي تمثلت على صورة تحديات لإيمانه هو النبي المصطفى **محمد** صلى الله عليه وسلم .

صالح : أما هذا فنعم فإنّه عليه السلام قد واجه من فنون الفتن وألوان الإيذاء ما هو جدير بزلزلة الجبال الراسيات ومع ذلك فهو يقول يوم طارده غلمان بني ثقيف وعبيدهم ودميت عقباه . " اللهم إني ضعيف فقوني .. اللهم إن لم يكن بك عليّ غضب فلا أبالي "..

محمد : حسن يا **صالح** .. كما أنني ألفت نظركم إلى ظاهرة هامة هي أن فتنة المؤمن التي هي الغذاء الأعظم للإيمان الصحيح قد ظهرت معالمها على صور مختلفة .. هناك الفتنة التي تتناول الفرد بالذات وهناك الفتنة التي تتناول الجماعة . ولعل مهمتنا اليوم أن نسلط الضوء على الوقائع والأحداث المختلفة التي كانت في جيل الدعوة النبوية بمثابة امتحان لإيمان النبي عليه السلام شخصياً ولإيمان المسلمين منفردين أو مجتمعين ..

سعيد : هذا موضوع واسع الأطراف يا أستاذ **محمد** .... لأنه يفرض علينا البحث عن كثير من الوقائع والمواقف وقد لا يتسع له وقت ندوتنا اليوم .

جاسم : إن في وسعنا تحديد البحث إلى ندوة تالية أو أكثر لكن المهم فيما أتصور هو إشباع هذا الموضوع بحيث نستوعب الجانب التربوي المقصود من هذه التحديات التي تصيب المؤمنين ..

صالح : إذا كان الأمر كذلك فمن الطبيعي أن نعتبر الفترة التي انقطع فيها الوحي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم بقد لقائه الأول مع رسول السماء جبريل عليه السلام واحدة من أعظم التحديات التي واجهت النبي الهاشمي ..

محمد : وكيف ذلك يا **صالح** ؟

صالح : السبب هو أن الرسول عليه السلام قد شعر بالأسى العميق حين لم يعد الوحي الإلهي .. وقد ظن الظنون في نفسه .. وكاد لشدة ذهوله عما حوله ولعمق احساسه بالأسى أن يؤذي نفسه وأن يسقط من على وهو في شروده في مخارم جبل النور وطرقاته .. فإذا بلغ الحزن به مبلغاً يتجاوز ما يحتمله البشري جاء جبريل يقول بعد أن يتبدى له : أنت عبد الله ورسوله . فتعود نفسه إليه وتشيع الطمأنينة في أعماقه ..

سعيد : وفي ضوء هذا التفكير أضيف إلى ما جاء على لسان أخي **صالح** فأقول إن اليوم الذي جاءه فيه عمه أبو طالب باسم قريش يساومه على دينه الجديد ويطلب إليه اتخاذ موقف وسط تلين به قناته مذكراً إياه بأن الاستمرار في مناجزة قريش عبء ثقيل .. أقول إن هذا اليوم يجب أن يعتبر واحدة من الفتن الخطيرة التي تعرض لها الرسول المصطفى صلى الله عليه وسلم ..

جاسم : ومما يلفت النظر حقاً أن صلابته عليه السلام في ذلك الموقف كانت من القوة بحيث أنه رفض البحث في مبدأ المساومة رفضاً لا رجعة عنه . فقال: " والله لو وضعوا الشمس في يميني والقمر في يساري على أن أترك هذا الأمر ما تركته أو أهلك دونه "...

محمد : والحقيقة أيها الأبناء أن موقفاً كهذا الموقف هو الذي يكشف عن معادن الرجال ويسلط الضوء على قوة الإيمان في نفوسهم ويؤكد قيمة الخط التربوي الذي زرعته التعاليم القرآنية في قلب صاحبه . وبهذه المناسبة أذكر قول أحدهم في التاريخ فيقول : التاريخ الذي تصنع فيه الأعمال الكبيرة والحاسمة هو وقفات عز يتخذها رجال صدقوا ما عاهدوا أنفسهم عليه . وهو في عالم المسلمين وقفات عز يتخذها رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه وأقدموا لا يبالون بالمخاطر من حولهم وتستوي عندهم كل النتائج المترتبة على صمودهم .

صالح : ولو شئنا يا أستاذ **محمد** أن ننتشر على السيرة العطرة الكاملة لخاتم الأنبياء لوجدنا فيها شيئاً كثيرا .. ولما كان الغرض هو إلقاء الضوء على أنواع معينة من السلوك الذي طولب المسلمون بالإلتزام له فإنّ أول ما يلفت النظر أن سلوك المسلمين في العهد المكي قد تميز بالصبر على البلاء واحتمال الأذى ومغالبة الضعف فى النفس البشرية ..

سعيد : هذا صحيح بالنسبة للفترة المكية فقط أما بالنسبة للفترة المدنية فإنّ مما يلفت النظر أن القرآن الكريم قد حث المؤمنين على رد العدوان والمجابهة بالقوة ورفض الاستسلام ..

محمد : حسن جداً .. الصورة كما أتيتما بها صحيحة صادقة .. ولكن ألا تقول لنا يا **جاسم** ما هو السبب في اختلاف الموقفين وفي تقابل الصورتين ؟

جاسم : أعتقد يا أستاذ **محمد** أن العملية التربوية الشاملة في كتاب الله يجب أن تعود المسلم على الوقوف بقوة أمام كل الاحتمالات وعلى المواجهة الجريئة لكل التحديات .. فالصبر على المكاره هو تعبير عن قوة الإرادة وصلابة الإيمان وتأكيد لظاهرة الانضباط التي تكشف عن فعل الإيمان في النفوس . أما رد العدوان فهو أيضا موقف آخر يكشف عن جانب خلقي بالغ الأهمية .. والنجاح في اتخاذ الموقفين دليل النجاح في تحقيق جانب من جوانب التوازن في النفس البشرية ..

محمد : أحسنت يا بني .. وقد كان جديراً بنا أن نطرح صورة سريعة لما قد يعتبره الناس مظهراً من مظاهر القوة والإباء والكرم والصبر عند الجاهليين لكننا لم نفعل ..

صالح : أو لم يكن الأمر كذلك عند الجاهليين ؟

محمد : كلا يا بني . صحيح أن الظاهرة هو كذلك لكن قيمة هذه الصفات مشروطة بشرط خاص .

نقلة موسيقية .....

الراوي (1) : ويمضي الأستاذ **محمد** فيقول لتلامذته : صحيح أن التاريخ مجمع على أن العرب الجاهليين كانوا شديدي الاعتزاز بأنفسهم وكانت ردود الفعل عندهم بالغة العنف . لكن هذا الاعتزاز لم يكن يستضيء بقيمة من القيم الكبيرة والنبيلة بل كان اعتزازاً ناشئاً عن تعصب صاحبه لنفسه ..

الراوي (2): ثم يضيف قائلاً : كان الواحد منهم لا يحتمل أن يصيبه الأذى حتى ولو كان بالحق فيشهر سيفه ويخرج للقتال لا يبالي أين يكون وجه الحق والباطل . ولذلك فقد كثرت المظالم والتارات وعمت الحرب كل القبائل .. وقد صدق فيهم قول الشاعر :

لا يسألون أخاهم حين يندبهم للنائبات على ما قال برهـانا

الراوي (1) : ويقول من بعد : أما فضائلهم الأخرى من كرم وحسن ضيافة ووفاء بالعهد ولم تكن الخليقة الأخيرة من خلائقهم الثابتة ، هذه الفضائل كانت للمفاخرة والمباهاة .. إن كرمهم لم يكن للفقراء والمساكين بل للأغنياء والأقوياء .. وضيافتهم كانت لمن يحسنون الكلام عنهم .. أما الوفاء بالعهد وهو قليل فقد كان لمن تشدهم اليه مصلحة معينة ..

الراوي (2) : ويتابع عرضه فيقول : هكذا نشهد في خلائق القوم صورة لمجتمع تنقصه العقيدة ويفتقد وحدة الطريق ويتفكر لوحدة المصير. فهو يتصرف في ضوء الغرائز الفردية في فوضى عجيبة لا يفسرها غير ضياع الرسالة التي توحد الأمة بطبيعتها ومن هنا تجدون أن القرآن قد اهتم اهتماماً بالغاً للربط بين اخلاق المسلم وعقيدة الوحدانية .. وجعل من قيم الخير والمحبة واحترام الإنسان صلة بين المسلم والمسلم ..

نقلة موسيقية ...

صالح : هذا صحيح يا أستاذ **محمد** لولا أننا شهدنا هؤلاء العرب الجاهليين وقد بدأوا قبل ظهور الدعوة الإسلامية ينادون بالدفاع عن المظلوم ويوقعون حلفا في هذا الشأن هو حلف الفضول . فما رأيك في هذا الموقف ؟

محمد : هذا صحيح أيضا .. لكنه كان بصيص نور تحيط بها موجات هائلة من الظلام . ثم لم يقم أن ضاع في غياهب هذا الظلام نفسه ..

سعيد : أنت على حق يا أستاذ **محمد** ... فلولا هذه الخطة التربوية التي بدأت بالدعوة إلى الله وامتحنت المسلم بإخضاعه لأنواع من أخلاق الصبر ومغالبة النفس على احتمال الأذى لما تغيرت جاهلية الجاهليين وثبت إيمان هم وذهب بعيداً في جذورهم النفسية ..

جاسم : وأضيف إلى ما ذكره أخي **سعيد** أن التجربة التربوية في مكة كانت من أجل تجريد المسلم من عنجهية الجاهلية وتعليمه الانضباط والسيطرة على انفعالاته في ضوء عقيدة تريده أن يتجرد لله عز وجل في رضاه وغضبه .. في صبره على المكروه وإقدامه على المجابهة ..

محمد : حسن جداً .. وقد كنت أتمنى متابعة العرض والإيغال في اختيار النماذج لولا ضيق الوقت ، ولذلك فإنّنا سنعود إلى هذا الموضوع لالقاء ضوء على جوانبه الأخرى في ندوتنا القادمة إن شاء الله ..

موسيقى نهاية .....